

تطور العلاقات

العثمانية – الألمانية

(١٨٨٣ – ١٩١٨ م / ١٣٠١ – ١٣٣٦ هـ)

إعداد

د/ فاطمة علي عبد الله العواد

قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإعلام

جامعة جدة، المملكة العربية السعودية

تطور العلاقات العثمانية - الألمانية

(١٨٨٣ - ١٩١٨ م / ١٣٠١ - ١٣٣٦ هـ)

فاطمة علي عبد الله العواد

قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإعلام

جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: faal-oud@uj.edu.sa

المُلخَص:

يتناول موضوع الدراسة العلاقات العثمانية الألمانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى (١٨٨٣ - ١٩١٨ م / ١٣٠١ - ١٣٣٦ هـ) بالبحث الفترة الزمنية التي شكلت طبيعة العلاقات الدولية بين الطرفين؛ نظراً للأزمات المتلاحقة التي مرت بها الدولة العثمانية؛ حيث كانت تعاني من ضغوط وأطماع دولية في أراضيها من قبل الدول الأوروبية الكبرى كروسيا وبريطانيا وفرنسا؛ لذا سعت الدولة العثمانية إلى إقامة علاقات مع ألمانيا خاصة بعد أن أظهرت ألمانيا تعاطفها مع أزمات الدولة العثمانية في مؤتمر برلين ١٨٧٨م، وهدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على تطور العلاقات بين الجانبين خلال الفترة موضوع البحث. وقد ظهرت بداية التقارب العثماني - الألماني جلياً في مجال تبادل الخبرات العسكرية في تدريب الجيش العثماني، ثم أعقب ذلك التطرق للمشاريع الاقتصادية التي قامت بين البلدين. وقد أظهرت الدراسة أن الجانبين العثماني والألماني كانا لهما أسبابهما لإبرام تلك الصداقة فكانت ألمانيا ترى في أراضي الدولة العثمانية مجالاً خصباً لإقامة مشاريعها الحضارية والتي تتمثل في تأسيس شبكة سكة حديد بين ألمانيا

والأقاليم العثمانية والاستفادة من أقاليمها المختلفة ومنافسة القوى العظمى آنذاك كبريطانيا وفرنسا في الاستحواذ والنفوذ على أقاليمها المتنوعة.
الكلمات المفتاحية:

الدولة العثمانية، ألمانيا، الحرب العالمية الأولى، روسيا، بريطانيا، فرنسا.

**The Development of the Relationship Between the
Ottomans and the German (1883-1918AD. / 1301-1336
AH.)**

Fatima Ali Abdullah Al-Awad

Department the History and Antiquities Science, Faculty
the Social Sciences and Mass Communication, University
Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: faal-oud@uj.edu.sa

Abstract:

The subject of this study discusses the Ottoman – German relationships before and during the First World War (1883-1918 AD. / 1301-1336 AH.) By searching the period which formed the nature of the international relations between the two parties, due to the concessive crises through which the ottoman state passed. as it suffered from pressures and international greediest in its lands by the great Russian states of Russia, Britain, and France thus the ottoman state tried to establish relationships with Germany especially after jeran showed its sympathy with the crises of Ottoman state in Berin Conference 1878AD. The beginning of the German – ottoman closeness appeared clearly in the field of exchanging the military experiences regarding training the ottoman army. The study showed that the two parties of ottoman and German had their reasons to sign these friendship, as Germany saw the of the ottoman state as a fertile field to establish its civilized projects, represented in founding railway station network between Germany and the ottoman regions, also to utilize its different regions.

Keywords: Ottoman Empire, Germany, World War I, Russia, Britain, France.

المقدمة:

في مطلع القرن العشرين، شاع وصف الدولة العثمانية بأنها " رجل أوروبا المريض"، بعد قرن من الانحدار النسبي البطيء الدولة أضعفها عدم الاستقرار السياسي والهزائم العسكرية والاحتراب الأهلي والانتفاضات من الأقليات القومية. وقد عانت الدولة العثمانية خلال تلك الفترة من أزمات سياسية واقتصادية، وباتت تبحث عن نفسها في ميزان القوى الدولية من خلال العلاقات والمصالح المشتركة من خلال الكيانات والقوى السياسية والعسكرية العالمية والأوروبية على وجه التحديد.

ولهذا تمثل فترة موضوع البحث ١٨٨٣ - ١٩١٨ م (قُبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى) فترة تاريخية هامة في تطور العلاقات العثمانية - الألمانية على مدة خمسة وثلاثين عامًا.

بعد قيام الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٧١م وحتى عام ١٩١٤ أصبحت ألمانيا قوة ذات مكانة كبيرة ونفوذ على الخارطة السياسية الأوروبية بدأت العلاقات تتكون منذ أن استضافت ألمانيا في عاصمتها برلين مؤتمر برلين ١٨٧٨م ومن خلاله أدار بسمارك المؤتمر وفق المصالح الألمانية وتبين ذلك من خلال التقسيم الذي حدث لأقاليم الدولة العثمانية حتى لا تقع الحروب بين الدول الأوروبية الكبرى والتي كانت تتسابق في الحصول على ممتلكات رجل أوروبا المريض.

ويهدف البحث:

الوقوف على علاقة الدولة العثمانية في فترة ما قبل نهايتها بالقوى الأوروبية وخاصة تطور علاقاتها بحليفاتها ألمانيا قُبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وأسباب تطورها بشكل واضح إبان الحرب

العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م. وإيضاح أبرز أسباب تغير موقف الدولة العثمانية من الحياد إلى الانضمام إلى ألمانيا.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على استخدام المنهج التاريخي؛ إذ يعد من أكثر المناهج استخداماً في العلاقات الدولية؛ حيث يولي اهتماماً كبيراً لدراسة التاريخ الدبلوماسي بسبب أن العلاقات الدولية لها جذور وامتدادات تاريخية سابقة ينبغي الإحاطة بها ومن كافة الجوانب. كذلك القدرة على تحري الأسباب التي تكمن وراء نجاح أو اخفاق قادة الدول في تبني سياسة خارجية محددة في وقت ما. كما أن استخدام المنهج التاريخي يؤدي إلى تفهم أكبر وأعمق للعلاقات بين الدول. كما يساعد على تفهم الكيفية التي يتم بها اتخاذ القرار في السياسة الخارجية والدوافع التي تملئها.

وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين وهما:

المبحث الأول: تناولت فيه العلاقات العثمانية - الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى من خلال البحث في عدة نقاط وهي:

- دواعي بحث الدولة العثمانية عن حليف أوروبي.
- أسباب التقارب العثماني الألماني.
- أسباب التقارب الألماني العثماني.
- نتائج سياسة التقارب بين الطرفين.

المبحث الثاني: فتناولت فيه العلاقات العثمانية - الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى. من خلال البحث في عدة نقاط وهي:

- الامتيازات الأجنبية في الأراضي العثمانية.
- الدولة العثمانية وسياسة الحياد في بداية الحرب العالمية الأولى.

- الوضع المالي للدولة العثمانية قبل دخول الحرب العالمية الأولى.
- رد فعل الحكومة البريطانية على تحالف الدولة العثمانية مع ألمانيا ودخولها الحرب بجانبها.
- العلاقات العثمانية الألمانية بعد التحالف الرسمي ويشمل: (التعاون العسكري، وأثره على المنطقة العربية - الدعم المالي والمشروعات الاقتصادية).
- دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب وهزيمة دول المحور.
- ❖ الخاتمة وتشمل ما تم التوصل إليه من نتائج من الدراسة والبحث.
- ❖ قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

العلاقات العثمانية - الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى

أسفر التقسيم في مؤتمر برلين ١٨٧٨م^(١) عن إعادة تشكيل حدود الدولة العثمانية مع دول البلقان التي خرج جزء منها عن سيادة الدولة العثمانية، حيث أعيدت الروملي الشرقية^(٢)، ومقدونيا^(٣) إلى السيادة العثمانية. كما شملت أبرز التقسيمات حصول بريطانيا على جزيرة قبرص،

(١) الأسباب التي دعت إلى عقد مؤتمر برلين ١٨٧٨م هو الانتصارات التي حققتها روسيا على الدولة العثمانية أثناء الحروب بينهما ١٨٧٧ م وما نتج عنها من فرض روسيا معاهدة سان ستيفانو على الدولة العثمانية حيث سيطرت روسيا بمقتضى تلك المعاهدة على مناطق الروفالي الشرقية ومناطق مقدونيا من أجزاء جنوب شرق أوروبا بالإضافة لمناطق شاسعة من مناطق قارص واردهان وباطوم إضافة إلى تحكم روسيا في مضيقي البسفور والدرنيل؛ انظر: طقوش، محمد، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط ٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٣م ص ٥٢٩، اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢، ترجمة عدنان سليمان ١ منشورات فيصل، استانبول، ١٩٩٠م، ص ١٠٧ - ١٢١

(٢) سعت بريطانيا إلى إعادة الروملي الشرقية للدولة العثمانية حتى جبال البلقان؛ لأن عودة الروملي وهي: جزء من البلقان للدولة العثمانية تؤمن لبريطانيا خط الدفاع عن العاصمة العثمانية والمناطق الاستراتيجية من الدولة ضد أي تهديد من روسيا؛ انظر، طقوش، مرجع سابق، ص ٤٤٠.

(٣) مقدونيا: هو اقليم في جنوب شرق أوروبا يمتد من شمال بحر ايجيه دخلت تحت حكم الدولة العثمانية في وقت مبكر وهم خليط من الأقوام المسيحية واليهود؛ انظر: غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، إحياء التراث، بيروت، ١٩٦٠م، ج ٢، ص ١٧٣٠ - ١٧٣١م.

وعلى مصر ١٨٨٢م بحجة الإصلاح الداخلي^(١) وحصول فرنسا على تونس ١٨٨١م، بينما كانت البوسنة والهرسك من نصيب النمسا^(٢).
وقد امتدت أطماع الدولة الأوربية إلى أبعد من ذلك خارج المحيط الأوروبي؛ حيث بدأت الدول الأوربية تمتد بأطماعها إلى الأقاليم العربية^(٣).
دواعي بحث الدولة العثمانية عن حليف أوروبي:

ذكرنا آنفاً أنه في مطلع القرن العشرين، شاع وصف الدولة العثمانية بأنها "رجل أوروبا المريض"، بعد قرن من الانحدار النسبي البطيء؛ حيث أضعف الدولة العثمانية حالة عدم الاستقرار السياسي والهزائم العسكرية والحروب الأهلية والانتفاضات من الأقليات القومية^(٤).

في عام ١٩٠٨م، استولى الأتراك الشباب على السلطة في القسطنطينية، ونصبت السلطان محمد الخامس كحاكماً صورياً عام ١٩٠٩م. طبق النظام الجديد برنامج إصلاح لتحديث النظام السياسي والاقتصادي للدولة العثمانية ولإعادة تعريف طابعها العرقي. استعاد الأتراك الشباب

(١) هنداوي، سهام محمد: التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية، وثائق سرية

مابين ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م، نينوى للدراسات والنشر (د-ت) ص ٧٦.

(٢) البوسنة والهرسك: البوسنة في الأناضول الأوروبي، عاصمتها سراييفو، الهرسك تقع في الأناضول الأوروبي وعاصمتها موستار وهما جزء من الدولة العثمانية (محمد شفيق غربال، ١٩٦٥م، ص ١٧٦).

(٣) سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ط ١، دار الفكر العربي بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٧٦ - ٣٧٨. حسون، علي، العثمانيون والروس، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨٢م. ص ١٤٢ - ١٤٦.

(4) Fewster, Kevin; Basarin, Vecihi; Basarin, Hatice Hurmuz (2003). Gallipoli: The Turkish Story, p. 36.

الدستور العثماني ١٨٧٦م، واستأنفوا البرلمان العثماني، وبدأت فترة المشروطية الثانية. قام أعضاء حركة الأتراك الشباب، الذين كانت في وقت ما حركة سرية (تسمى اللجنة، الجماعة،... الخ) بتأسيس (إعلان) أحزابهم السياسية. ومن بين تلك الأحزاب، "جمعية الاتحاد والترقي" و"حزب الحرية والاتفاق" - المعروف أيضاً بالاتحاد الليبرالي أو الوفاق الليبرالي. عُقدت انتخابات عامة في أكتوبر ونوفمبر ١٩٠٨م وأصبحت جمعية الاتحاد والترقي الحزب الرئيسي والمهيمن على مقاليد السلطة والحكم في الدولة العثمانية^(١).

في تلك الأثناء كانت الموارد الاقتصادية للدولة العثمانية قد استنفذت بسبب تكلفة حروب البلقان في عامي ١٩١٢ و ١٩١٣م. عرض الفرنسيون والبريطانيون والألمان المساعدة المالية على الدولة العثمانية، وفي تلك الأثناء، عارض الساسة المؤيدون لألمانيا بتأثير من أنور باشا، الملحق العسكري العثماني السابق في برلين، الأغلبية الموالية لبريطانيا في الحكومة العثمانية وحاول تأمين علاقات أوثق مع ألمانيا. وفي ديسمبر ١٩١٣م أرسل الألمان الجنرال أوتو ليمان فون ساندرز وبعثة عسكرية إلى القسطنطينية. وقد كان الموقع الجغرافي للدولة العثمانية يعني أن لروسيا وفرنسا وبريطانيا مصلحة مشتركة في الحياد التركي، في حالة نشوب حرب في أوروبا^(٢).

قدمت ألمانيا، وهي مؤيد متحمس للنظام الجديد، رأس المال الاستثماري. وحصل الدبلوماسيون الألمان على نفوذ وكذلك الضباط الألمان

(١) الصباغ، عبد اللطيف: تاريخ الدولة العثمانية، دار اشروق (د-ت) ص ١٢٦ .

(2) Haythornthwaite, Philip (2004) Gallipoli 1915: Frontal Assault on Turkey. Campaign Series. London: Osprey, p. 6.

الذين ساعدوا في تدريب وإعادة تجهيز الجيش، لكن بريطانيا ظلت القوة المهيمنة في المنطقة^(١).

أسباب التقارب العثماني الألماني:

ونعنى هنا سعي الدولة العثمانية نحو التقارب وتوطيد علاقاتها بالألمان، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا اتجهت الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين الي التقرب من ألمانيا؟ وللاجابة على هذا التساؤل نرى أنه من المؤكد أن الدولة العثمانية قد شعرت بضعفها وخروج الكثير من الأقاليم عن سيادتها، وهذا بلا شك أفقدها الكثير من التوازن والتفكير بشكل سليم في سياستها المستقبلية.

وبدت كل من بريطانيا وفرنسا كأعداء، وهما كذلك؛ لتنافسهما حول التقسيمات. في حين رأت الدولة العثمانية أن ألمانيا أقل ضرراً من الدول الأوربية الكبرى (إنجلترا وفرنسا) وكانت تعتقد أن بتقربها من ألمانيا سوف تخفف من وطأة أطماع الدول الغربية بها.

وقد اتضحت سياسة الدولة العثمانية بناءً على ما سبق فالسلطان عبدالحميد الثاني سعى جاهداً بعد مؤتمر برلين ١٨٧٨م إلى إقامة علاقة مع الإمبراطور الألماني ولهم الثاني الذي كانت لديه رغبة ملحة لزيارة استانبول فقد أصر على زيارتها وإقامة علاقات صداقة مع الدولة العثمانية رغم معارضة مستشاره بسمارك وذلك بحسب رؤية أيده فيها السفير الألماني في استانبول (هانو فيلد) والتي يرى فيها أن المستقبل لألمانيا في إنشاء علاقات مع الدولة العثمانية تفتح لها أبواب الشرق على مصراعيه^(٢).

(1) Erickson, Edward J. (2001). Ordered to Die: A History of the Ottoman Army in the First World War. p. 32.

(٢) هندأوي، سهام محمد: مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩.

وبدأت العلاقات بينهما بمجموعة من مشاريع تبادل الخبرات والقيادات بين البلدين وزادت العلاقة عمقاً بين الطرفين بالزيارات التي قام بها الإمبراطور الألماني آنذاك والتي كان لها دور ريادي في دعم العلاقات بينهما حيث منحت ألمانيا عددًا من الامتيازات في داخل الدولة العثمانية لتأسيس شبكة من خطوط المواصلات الحديدية تربط الدولة العثمانية بأقاليمها في أوروبا وكان أعظم هذه المشاريع خط برلين - بغداد^(١).

وتأكد السلطان العثماني آنذاك أن هذه الصداقة سوف تبعد خطر تآمر الدول الأوروبية على الدولة العثمانية؛ لذلك وثق تلك العلاقات بين البلدين، وبذل السبل لاستمرارها. وقد هدفت الصداقة بينهما إلى تبادل الخبرات وتقوية مجالات التعاون الاقتصادي بين البلدين. وقد تطورت تلك العلاقات بشكل واضح إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م. وقد وضح ذلك منذ البداية عندما أعلنت الدولة العثمانية تحالفها مع ألمانيا ضد دول الحلفاء، وتوضح الدراسة أبرز أسباب تغير موقف الدولة العثمانية من الحياد إلى الانضمام إلى ألمانيا؛ بالواقع أن جمعية الاتحاد والترقي التي أتت بعد خلع السلطان عبدالحميد الثاني كانت معجبة بالقوة الألمانية وضغطت على الحكومة العثمانية آنذاك بخوض غمار الحرب ضد الحلفاء هذا إلى جانب أن الدولة العثمانية أصبحت بموقع خطر مع اندلاع الحرب بين الدول الأوروبية^(٢).

(1) Danis Menb Mail Hami. izahliosmanli Tarihi, Kronolojisi, Klasor, Istanbul, 1942, P.400- 401.

(2) Fahir Armoglu, 20. yvzyil siyasi, Taprihi (1914-1995), 5 klasor, istanbul, 2015, P.23.

أسباب التقارب الألماني العثماني:

كان إنجاز الوحدة الألمانية وقيام الإمبراطورية الألمانية في ١٨٧١م قد أعطى زخماً قوياً للتطور بحيث أصبح العقد الثامن من القرن التاسع عشر تحول الاقتصاد الألماني في تطور ألمانيا الاقتصادي، وبدأت تظهر على المسرح الدولي كقوة استعمارية تسعى بنشاط للحصول على مستعمرات وبدأ ساستها يطالبون ذلك علناً^(١).

أما ألمانيا فقد وجدت أن تحالفها مع الدولة العثمانية مهم لها من عدة نواحي علي رأسها الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به الدولة العثمانية، وتخفيف وطأة الحرب في أوروبا ونقل الحرب إلى مناطق شاسعة في أقاليم الدولة العثمانية في آسيا وأفريقيا^(٢).

وبدأ النفوذ الألماني بالتغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسال البعثات العسكرية لتدريب الجيش .فقد وجد العثمانيون في ألمانيا الدولة الوحيدة التي ليست لها أطماع في أراضيهم. وكانت الدولة العثمانية تحتل مكان الصدارة في مخططات ألمانيا التوسعية. وكان النفوذ الألماني في الإمبراطورية العثمانية قد توسع ونما نمواً مطرداً (لا يتناسب ونفوذ الدول

(١) هذا ما صرح به بيلوف وزير الخارجية الألماني وأصبح في الفترة ١٩٠٠-١٩٠٩ مستشاراً لألمانيا ((لقد ذهب الوقت الذي كانت فيه الشعوب الأخرى تقسم فيما بينها الأرض والمياه، في حين نكتفي نحن الألمان بالسماء الزرقاء فقط أننا نطالب لأنفسنا أيضاً بمكان تحت الشمس)) انظر هاشم صالح التكريتي ((التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى))، مجلة المؤرخ العربي، العدد السادس والعشرون، السنة الحادية عشرة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤١.

(2) Mehmed Niyazi, Cankkale Mahseri Atokn yayincilik, Istanbul, 2016, P.413.

الأخرى). وكان واضحاً من الناحية العسكرية قبل نشوب الحرب في الأخص^(١).

التقارب يهدف إلى خدمة مصلحة ألمانيا بالدرجة الأولى وخاصة أن ألمانيا كانت تجابه ثلاث دول عظمى في الحرب (روسيا - بريطانيا - فرنسا) فلذلك اتجهت للاستفادة من الأراضي العثمانية لتحقيق انتصاراتها والرمي بثقل جزء من أعباء الحرب في مناطق آسيا وأفريقيا، والنتيجة أن الحلفاء انتصروا في نهاية الحرب وخسرت كلتا الدولتين (ألمانيا - الدولة العثمانية) قوتها وأراضيها واحتاجت سنوات عدة لبناء قوتها من جديد.

عند تتبع العلاقة بين البلدين وتباين أوجه القوة والضعف بينهما وكيف كانت ألمانيا تنظر للدولة العثمانية وماذا كانت تريد الدولة العثمانية من وراء هذه الصداقة أولاً ثم التحالف ثانياً والهدف الذي غلب على الدراسة أن الدولة العثمانية أرادت أن تجد لها الصديق والحليف حماية لنفسها من أطماع وتكالب الدول الأوروبية.

نتيجة للأزمات التي حلت بالدولة العثمانية؛ بسبب ما تضمنته معاهدات سان ستيفانو وبرلين، رأت الدولة العثمانية أن تبحث عن مخرج وحل لهذه الأزمات وهذه التقسيمات التي حلت بأقاليمها، وأن تعوض ما خسرت من أقاليم كانت تابعة لها؛ لذلك رأت أن تبحث عن حليف لمساعدتها ومساندتها على أن لا يكون هذا الحليف تقليدي كبريطانيا وفرنسا اللتان أظهرتا خلال الفترة السابقة أطماعهما في أملاك الدولة العثمانية. ووجدت الدولة العثمانية ضالتها في ألمانيا وخاصة أن الأخيرة قد حققت وحدتها منذ عام ١٨٧١م / ١٢٨٨هـ وبدأت في بناء نفسها في جميع المجالات.

(١) التكريتي، هاشم صالح: مرجع سابق، ص ٤٣.

وبالنظر في أسباب التقارب بين الدولتين نجد أنه كانت هناك مجموعة من الأسباب قادت للتقارب العثماني - الألماني على رأسها أن ألمانيا وجدت أن كل من بريطانيا وفرنسا قد أستفادت طوال سنواتها من ضعف الدولة العثمانية وهذا ما جعل تلك الدولتين تستعمر وتحتل كثير من الأقاليم التابعة للدولة العثمانية، ووجدت ألمانيا أن هناك رغبة من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في الصداقة مع ألمانيا^(١).

وفي المقابل وجدت ألمانيا هي الأخرى أن هذه الطريقة هي أفضل طريق للتغلغل الألماني داخل الأراضي العثمانية، وخاصة أن هذه الصداقة ستسهم في دفع عجلة الاقتصاد الألماني والاستفادة من الإمكانيات الضخمة التي تتمتع بها الدولة العثمانية، وعلى رأسها تمتع الدولة العثمانية بشكل عام بموقع استراتيجي هام وعلى وجه الخصوص العاصمة العثمانية استانبول ذات الأهمية الاستراتيجية والتاريخية لدى عواصم الدول الأوروبية، وهذا بلا شك يجعل الأسواق العثمانية مجالاً رائجاً لبيع المنتجات الألمانية^(٢).

أما الدولة العثمانية فقد انتهجت سياسة الاستفادة من التطور الألماني وخاصة تطوير الجيش الذي كان أحد الأسباب في هزائمها السابقة مع الدول الأوروبية. وقد رأت ألمانيا أن تعاونها مع السلطان العثماني في هذا الشق فيما يتعلق برغبة الدولة العثمانية في دعم الجيش العثماني سيساعد الألمان في الانفتاح والتعرف عن قرب عن الأنظمة التي يسير وفقها الجيش العثماني حيث أرسلت ألمانيا بعثة عسكرية للتدريب إلى

(1) Danis Menb, op. cit, P. 400.

(٢) توفيق، برو: مرجع سابق، ص ٣٧.

العاصمة استانبول وكان ذلك عام ١٨٨٣م / ١٣٠٠هـ وقد قامت البعثة الألمانية بتدريب الجيش العثماني وفق أحدث أساليب التدريب والتعليم العسكري، وساهم السفير الألماني آنذاك البارون مارشال في نمو وتطور العلاقات بين الطرفين^(١).

وفي مجال الاستشارة العسكرية أصبح الجنرال الألماني أوتو ليمان فون ساندرز في عام ١٩١٣م الأحدث ضمن سلسلة الجنرالات الألمان الذين عملوا على تحديث الجيش العثماني^(٢).

الجدير بالذكر أن إسهامات الألمان في تطوير الجيش العثماني وتدريبه كان بهدف تحقيق مصالح وأهداف ألمانيا في المقام الأول ولقد قال بسمارك في أحد تصريحاته حول الهدف من التعاون العسكري مع الدولة العثمانية ليس هدفاً سياسياً وإنما للحصول على مزيد من النفوذ الألماني في الدولة العثمانية، واستخدام الجيش العثماني المزود بالأسلحة الألماني وتحت الإشراف الألماني ضد روسيا في حال أصبحت هذه الدولة عدوة السلطنة فستكون بالتالي عدوة لألمانيا^(٣).

وفي الواقع يلاحظ أن الدولة العثمانية قد استقادت هي الأخرى في هذه الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى من الإسهامات العسكرية أكبر استعادة في تقوية جيشها من حيث السلاح والتدريب وقد اعتبر الألمان بمثابة

(1) Danis Menb, op. cit, P401.

(2) Ulrich Trumpener, "Liman von Sanders and the German-Ottoman alliance." Journal of Contemporary History 1.4 (1966) p.179.

(٣) هندواوي، سهام محمد: مرجع سابق، ص ١٠٨.

الأطباء المعالجون الذين قاموا بمعالجة الوهن والضعف في الجيش العثماني^(١).

نتائج سياسة التقارب بين الطرفين:

كانت سياسة "تحقيق التوازن" هي الشعار الثابت والمعلن للسلطان عبدالحميد تجاه الدول الأوروبية. وكان حريصًا على استغلال الخلافات العميقة فيما بينها؛ حتى لا تتفق عليه؛ لذلك قام بـ:

- (١) جعل فرنسا تقف وجهًا لوجه تجاه إيطاليا في ليبيا.
- (٢) جعل إيطاليا خصمًا عنيدًا للإنجليز عندما احتلوا مصر ١٨٨٣ م.
- (٣) أخذ يعمل على إثارة النزعات بين الصرب والجبل الأسود ورومانيا.
- (٤) إقامة صداقات حميمة مع قيصر روسيا وملوك ورؤساء أوروبا وسفرائهم في الأستانة، بل وجواسيسهم مثل فامبري (Vampiri) الجاسوس البريطاني الذي تعاطف تمامًا مع السلطان. كما كان يكرم السفراء ويدعوهم إلى مائدته ويقدم لهم الهدايا الفاخرة^(٢).

أما ألمانيا فقد كان هدفها الرئيس هو الاقتصاد وإقامة المشاريع الاقتصادية في أراضي الدولة العثمانية^(٣). لذلك نتج عن سياسة التقارب بين الطرفين الاتفاق على تأسيس شبكة من طرق المواصلات الحديدية في البلقان. وقد استطاعت الحكومة الألمانية إقناع الحكومة العثمانية بجدوى وفاعلية هذه الشبكة الحديدية؛ من أجل السيطرة على الأقاليم التي انتشرت بها الثورات ما بين فترة وأخرى. وقد امتدت طرق المواصلات هذه من

(١) نفسه، ص ١٢١

(٢) نفسه، ص ١١٩.

(٣) الدسوقي، محمد كمال: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ١٤٠.

النمسا والمجر عبر الأراضي البلقانية ومنها إلى العاصمة استانبول. وارتبطت بشبكة الخطوط الحديدية في مناطق النمسا والمجر، وبذلك أصبحت العاصمة العثمانية ذات صلة قريبة جداً بالعواصم الأوروبية المختلفة عبر ذلك الخط الحديدي^(١).

وبذلك بدأ النفوذ الألماني يسيطر على الأقاليم العثمانية، وخلال عام ١٨٨٨م / ١٣٠٥ هـ أقيل بسمارك من منصبه أثر تولى الإمبراطور ولهم الثاني^(٢) حكم ألمانيا وعين مستشاراً جديداً عرف باسم (ليوفون) وأعلن الإمبراطور ولهم الثاني عن رغبته في زيارة للحكومة العثمانية خلال عام ١٨٨٩م / ١٣٠٦ هـ حيث كانت الزيارة المقررة لاستكمال استمرار العلاقات بين الطرفين حيث وافق الجانب العثماني على تقديم مزيداً من التعاون لإنشاء المشاريع الألمانية للخط الحديدي في داخل الدولة العثمانية في منطقة الأناضول تحديداً والذي يمتد من منطقة حيدر باشا^(٣). إلى أنقرة مروراً بمنطقة قونية^(٤).

(١) ازورتونا، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(٢) غريال، مرجع سابق، ص ١٩٦٧.

(٣) حيدر باشا: تمتد في منطقة الأناضول زادت أهميتها نتيجة لمرور الخط الحديدي من خلال المنطقة وهي ذات موقع استراتيجي هام في الأناضول، انظر، طقوش: مرجع سابق، ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٤) قونية: إقليم في منطقة الأناضول الآسيوي مركز للواء الذي يحمل الاسم نفسه كانت مقر الأسقفية اليونانية دخلت تحت الحكم العثماني في فترة مبكرة من التاريخ العثماني وكانت مقراً هاماً للدولة العثمانية، انظر، غريال، محمد شفيق، مرجع سابق، ص ٤١٢؛ ناجي، سحر أحمد: النفوذ الألماني في الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، المؤتمر العلمي التخصصي الرابع والعشرون، كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠١٨م، ص ٧.

وقد بدأ تنفيذ المشروع بعد أن وضعت الخرائط والتصاميم لذلك المشروع خلال عام ١٨٩٣ م / ١٣١٠ هـ، وتم استكمال المشروع بعد ثلاث سنوات من ذلك^(١). هذا وقد شملت الزيارة كذلك الموافقة على إرسال بعثة عثمانية إلى الأراضي الألمانية ليتلقوا المزيد من التعليم والتدريب في مجال التطوير العسكري في المعاهد الألمانية^(٢).

تطورت العلاقات العثمانية الألمانية فبعد ما يقارب من السبع سنوات قام الإمبراطور ولهم الثاني بزيارة أخرى للدولة العثمانية. وقد ألفت الكثير من المصادر العثمانية عناية كبرى لهذه الزيارة والتي كانت عام ١٨٩٨ م / ١٣١٦ هـ، وكان ذلك لعاملين:

العامل الأول: أن هذه الزيارة والتي كانت الثانية للإمبراطور الألماني للدولة العثمانية زادت من متانة العلاقات العثمانية الألمانية وقد استقبل الإمبراطور الألماني استقبالاً حاراً؛ حيث نزل الإمبراطور ولهم الثاني في منزل خاص في داخل حديقة يلدز، وكان هذا المكان المخصص للقاء بين الإمبراطور ولهم الثاني والسلطان عبد الحميد الثاني ونتج عن تلك الزيارة إقتناع السلطان عبد الحميد بإنحيازه القوي نحو ألمانيا وصدقتها التي سوف يكون لها أكبر الأثر في انتعاش الاقتصاد العثماني، وأن تساعد هذه الصداقة على تغلب السلطان العثماني على الكثير من الضغوط المالية أو السياسية على بلاده وشعبه؛ لذلك إكتسبت هذه الزيارة أهمية بالغة لدى السلطات العثمانية^(٣).

(١) سرهنك: مرجع سابق، ص ٤٠٢.

(٢) طقوش: مرجع سابق، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(3) anis Menb Op.cit, P. 405.

وانظر أيضاً، ناجي، سحر أحمد: مرجع سابق، ص ٨.

أما العامل الثاني لأهمية هذه الزيارة فتمثل في: أن الإمبراطور الألماني حصل على المزيد من الامتيازات حول خط حديد برلين - بغداد، لمجموعة من الشركات الألمانية، وبلغ اهتمام الإمبراطور بذلك الخط أن أجبر البنوك الألمانية على تمويل وتبني مشروع خط برلين - بغداد؛ حيث ألقى كلمة لمديري البنوك الألمانية أن هذا الخط يعد مصلحة ألمانية قومية عليا للإمبراطورية الألمانية^(١).

وقد كانت هذه الزيارة للإمبراطور الألماني بمجملها من أجل تحقيق الكثير من المكاسب السيلسية والاقتصادية لألمانيا على حساب الدولة العثمانية مع تحقيق بعض الدغع المعنوي للسلطان العثماني في هذه المرحلة التي تعتبر من الأوقات الصعبة التي مرت بها السلطنة العثمانية كما قيل: "ولهذا يقوم ويلهم الثاني بزيارة صديقه السلطان في أشد الأوقات حرجًا والحصول على الثقة المتبادلة بين الطرفين"^(٢).

وفي إطار الشراكة الاقتصادية بين البلدين فيما يتعلق بخط حديد برلين - بغداد اشترطت الحكومة العثمانية لهذا المشروع بأنه يحق للحكومة العثمانية شراء الخط بتسوية مصاريف الإنشاء في أي وقت تشاء. ووثق هذا الشرط في وثيقة بينهما بمعنى أن الحكومة العثمانية يحق لها شراء الخط ويصبح ملكاً لها في أي وقت شاءت متى استطاعت تسديد قيمته المالية^(٣).

(١) برو: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) هنداوي، سهام محمد: مرجع سابق، ص ٨٢.

(3) Danis Menb Op.cit, P. 406.

وفي عام ١٨٩٢م انتهى الألمان بمد سكة حديد بغداد - برلين إلى أنقرة إلا أنها واجهت معارضة من قبل بريطانيا وروسيا وفرنسا. وفي عام ١٨٩٤م تم مد سكة إلى قونية على الحدود السورية/ العثمانية.^(١) ومن هذا الأمر نرى أن الألمان كانوا يرون أن الدولة العثمانية الموحدة غير المجزئة والواقعة تحت حماية ألمانيا بشكل غير رسمي ويمكن تحويلها بالتدرج إلى مستعمرة ألمانية صرفة. ومن جهة أخرى كان السلطان عبد الحميد الثاني يري أن يتمكن من الاعتماد على مساندة الألمان في تثبيت مركزه وتثبيد مقاومته لحركات التحرر الوطني لشعوب الإمبراطورية العثمانية وفي مقدمتهم العرب.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا ما الذي جعل الدولة العثمانية تعطي هذه الثقة لألمانيا باعتماد هذا المشروع الضخم؟ نجد الإجابة في عدة أسباب: أهمها أن الحكومة الألمانية لم تظهر العداوة للدولة العثمانية خلال فترة الحروب السابقة التي خاضتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية مع وعلى رأسها روسيا، فرأت أن تبحث عن حليف يساندها في حروبها المرتقبة ووجدت أن هذا الحليف هو ألمانيا التي كانت في نظر الحكومة العثمانية أقل خطراً من غيرها من الدول الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وروسيا؛ لذلك حصلت ألمانيا على ذلك الامتياز والذي يعد الأول من نوعه في ذلك الوقت حيث اشتملت المباحثات على موافقة الحكومة العثمانية على امتداد الخط من برلين - بغداد إلى الكويت وكان ذلك عام ١٩٠٣م^(٢) - ١٣٢٠هـ.

(١) لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، موسكو، دار التقدم، ١٩٧١م، ص ٣٨٦.

(٢) برو: مرجع سابق، ص ٣٨.

أما عن موقف الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا وروسيا فقد وقفت في وجه تنفيذ هذا الخط غير أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني نجح في تلك الفترة إلى إقامة علاقات صداقة قوية مع ألمانيا تقوم هذه الصداقة على المصالح المتبادلة بين الطرفين؛ مما ساعد على قيام الكثير من المشاريع العمرانية والهندسية. ودعمت هذه المشاريع بالتعاون والشراكات القائمة على تدريب الجيش العثماني بأحدث الطرق الحربية في المعاهد الخاصة بالجيش العثماني، كما شهدت الدولتان قيام العديد من الشركات الصناعية، التي طورت من الأسطول العثماني كشركة (جامانيا)؛ لبناء السفن. وشركة (إسن)؛ لتزويد الجيش العثماني بما يحتاج من معدات حربية^(١).

وبعد هذه المشاريع المشتركة العثمانية - الألمانية سعت جمعية الاتحاد والترقي إلى إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م / ١٣٢٦هـ، ونصّب السلطان محمد الخامس رشاد. وفي هذه الفترة واجهت الحكومة العثمانية عدد من العقبات والمشكلات كان على رأسها الحرب الطرابلسية - الإيطالية ١٩١١م / ١٣٢٩هـ التي هُزم فيها العثمانيين وأصبحت ليبيا تحت السيادة الإيطالية، ثم أعقبها ثورات وقلقل دول البلقان التي لقيت التأييد والتشجيع من الدول الأوروبية الكبرى للإنفصال عن الدولة العثمانية حيث استمرت الحروب العثمانية - البلقانية من (١٩١٢ - ١٩١٣م / ١٣٣٠-١٣٣٣هـ)، والتي تلقت فيها الدولة العثمانية الهزيمة أمام دول البلقان. مما أدى إلى خروج كل البلقان عن حكم الدولة العثمانية وحصولهم علي الاستقلال^(٢).

(١) طقوش: مرجع سابق، ص ٤٦٥ - ٤٦٦، برو: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٢) اوزوتونا: مرجع سابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

ومن نتائج التقارب العثماني الألماني نجد في مجال التجارة ما ينبغي الإشارة إليه وهو أن الألمان قد قاموا بتأسيس عدد من الشركات الألمانية التي مارست النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي منها شركة جهان روث التي تأسست ١٨٩٠م في ميناء بوشهر. وشركة بيرك وبوجمان وشركائهم التي تأسست في بغداد ١٨٩٤م، وكان لها دور متميز في النشاط التجاري. وفي عام ١٨٩٥ م تأسس خط ملاحى بين مدينة بريمن الألمانية ومدينة البصرة وصلت منه باخترتان إلى البصرة غير أنه إنحل في العام التالي. وفي عام ١٨٩٦ تأسست شركة روبرت ونجهاوس في مدينة هامبورج الألمانية واتسع نطاق عملها فأقامت لها فروعاً في البصرة وبندر عباس وبوشهر والبحرين والمحمرة. وفي مطلع القرن العشرين كانت ألمانيا أحد أقوى المنافسين الأوروبيين في مجال التجارة الأوروبية مع الدولة العثمانية عبر مؤانئ الخليج العربي^(١).

وإضافة لما سبق نجد أن من الأهداف الحقيقية لدى الألمان للتقارب مع الدولة العثمانية تتركز حول الأناضول والسيطرة على طرق المواصلات الممتدة من بحر الشمال حتى سواحل الخليج العربي. حيث كانت كانت ترى في الأناضول ((سلة غذاء)) كبرى لها وللسلطنة في آن واحد حلاً لمشكلة زيادة السكان الكبيرة في ألمانيا وكما قيل عن الألمان كانوا من أكثر الشعوب قدرة على الاستعمار في العالم كما ثبت من مستعمراتهم في فلسطين حتى أنهم أصابوا اليهود بالهلع وهم سادة الاستيطان والاستعمار^(٢).

(١) ناجي، سحر أحمد: مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) هنداوي، سهام محمد: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

وعلى ما سبق نلاحظ مدى التقارب العثماني الألماني قُبيل الحرب العالمية الأولى؛ حيث وجدت كلا الدولتين تحقيق التعاون فيما بينها بما يحقق أغراض كل منهما. غير أن ألمانيا كانت هي المستفيدة الكبرى من تحالفها أو تقاربها مع الدولة العثمانية خلال تلك المرحلة سياسيا وعسكريا واقتصاديا.

أما الدولة العثمانية فكان جل استفادتها من تقاربها وتحالفها مع الألمان في الجانب العسكري؛ حيث استفادت في هذه الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى من الإسهامات العسكرية والخبرات والأسلحة الألمانية أكبر استفادة في تقوية جيشها من حيث السلاح والتدريب وقد اعتبر الألمان بمثابة الأطباء المعالجون الذين قاموا بمعالجة الوهن والضعف في الجيش العثماني.

المبحث الثاني

العلاقات العثمانية - الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى

الامتيازات الأجنبية في الأراضي العثمانية:

بعد هزيمة الدولة العثمانية في البلقان، وخروج المنطقة من تحت حكمها، رأت أن لا تدخل في نزاع آخر مع أي دولة أوروبية خلال هذه الفترة فوافقت على زيادة الامتيازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية فكانت هذه وجه نظر حكومة الاتحاد والترقي أن تتنازل عن بعض الامتيازات لعدد من الدول الأوروبية؛ حتى تستطيع إعادة الاقتصاد العثماني إلى ما كان عليه.

ومن أجل تحقيق ذلك توصل الطرفان العثماني - البريطاني في قضية سكة حديد بغداد والتي توقفت المباحثات فيها بعد عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) إلى اتفاق عثماني بريطاني يقضي بموافقة الحكومة العثمانية بإعطاء بريطانيا امتياز سكة حديد بغداد - البصرة وتوصل الطرفان إلى ذلك في مؤتمر لندن ١٩١٣م - ١٣٢١هـ^(١). حيث اعترفت الدولة العثمانية باستقلال الكويت وأن لا تتدخل الدولة العثمانية في شؤون الكويت بما في ذلك أسرة آل الصباح الأسرة الحاكمة، واعترفت كذلك بحق بريطانيا باتخاذ التدابير اللازمة لحماية أساطيلها في منطقة الخليج العربي، كما توصل الطرفان لاتفاقية خاصة بمد خط سكة حديد يصل ما بين الموصل إلى الكويت في اتفاقية بينهما في منتصف يونيو ١٩١٤م / شعبان ١٣٣٢ هـ. أي قبيل الحرب العالمية الأولى بأشهر^(٢).

(1) Yildiz Op.cit. p. 429.

(٢) برو: مرجع سابق، ٥٧١ - ٥٧٣.

وعلى صعيد الامتيازات البريطانية داخل أملاك الدولة العثمانية نجد أنها لم تقف على نحو ما سلف ذكره؛ حيث كانت هناك العديد من الامتيازات الخاصة بالتقيب عن البترول في العراق للشركات البريطانية. وكان هدف حكومة الاتحاد والترقي من هذه الامتيازات الضخمة التي مُنحت للحكومة البريطانية أن تعيد العلاقات العثمانية - البريطانية إلى سابق عهدها من علاقات الصداقة المتينة بين الطرفين اعتقاداً من حكومة الاتحاد أن بريطانيا ساعدت في بقاء الدولة العثمانية وميلها إلى تقديم يد العون والمساندة^(١).

حاول السلطان عبد الحميد أني يحي في بلاده نهضة اقتصادية كبرى، بسلسلة من السكك الحديدية وإقامة مشروعات المياه على نهري دجلة والفرات، كما حاول أن يزيد ضرائب الدخل من ٦% إلى ١١% لكن الظروف الداخلية ممثلة في الجهاز البيروقراطي، والظروف الخارجية ممثلة في موقف الدول الأوروبية وبخاصة بريطانيا منه حال دون إحياء هذه النهضة كاملة بإعاقه المشاريع الكبرى وإثارة النعرات القومية والمشكلات الداخلية، فعارضت بريطانيا زيادة الضرائب، كما عارضت مشروعات السكك الحديدية العثمانية التي تهدف ربط أقاليمها بشرياً واقتصادياً وعسكرياً، بحجة أنها تمثل نفوذاً للألمان داخل الدولة العثمانية^(٢).

حرصت حكومة الاتحاد والترقي على تحسين علاقاتها بفرنسا وخاصة بعد أن سلم السفير الفرنسي خطاب إلى الدولة العثمانية بخصوص

(١) طقوش: مرجع سابق، ص ٤٦٧-٤٧١.

(٢) الصباغ، عبد اللطيف: مرجع سابق، ص ١٢١.

المطالب الفرنسية والتي تتمثل في فتح العديد من المدارس الفرنسية وكان ذلك في ٢٤/٢/١٩١٣م^(١) - ربيع الأول ١٣٣١ هـ .

وتضمن الخطاب الموافقة إنشاء خط حديدي في سوريا متمم للخط الحديدي حمص - حماة، وأن يكون لفرنسا أحقية بناء موانئ لها على سواحل سوريا إضافة لموانئها على البحر الأسود. وأمام هذه المطالب الفرنسية رأت الحكومة العثمانية أنها بحاجة ماسة لقرض مالي لذلك وافقت على المشروع مقابل أن تحصل من فرنسا على قرض مالي قدره (٨٠٠) مليون فرنك فرنسي وهو ما يعادل (٤٠) مليون ليرة عثمانية، وكانت حكومة الاتحاد والترقي تحتاج لهذا المبلغ للنهوض بمرافق الدولة وبذلك حافظت حكومة الاتحاد والترقي على علاقات الصداقة بينها وبين فرنسا؛ لأن الأخيرة كانت تقدم القروض المالية للدولة العثمانية وتساعدتها في الأمور المالية دون غيرها^(٢).

وهنا يلاحظ من خلال الدراسة أن العلاقات العثمانية قبيل نشوب الحرب العالمية بقليل قد تشابكت مع دول أوروبية أخرى غير ألمانيا مثل إنجلترا وفرنسا فقد فرضتا وجودهما على الساحة وحصلا على امتيازات لهما داخل الدولة العثمانية.

أما إذا عدنا للحديث عن ألمانيا وعلاقتها بالدولة العثمانية وهو محور دراستنا فقد منحت الدولة العثمانية الامتياز لألمانيا في منطقة

(١) برو: مرجع سابق، ص ٥٧٣ - طبقاً للاتفاقية العثمانية - الفرنسية ١٩٠١م والتي تقضي بزيادة عدد المدارس الفرنسية في أقاليم الدولة العثمانية، انظر نفسه، ص ٥٦٨.

(٢) نفسه، ص ٥٦٨ - ٥٦٩.

الأناضول، وخاصة مشاريع السكة الحديدية ذات الفروع المتعددة وشركات بناء السفن والمعدات الحربية بالإضافة لتدريب الجيش على أيدي خبراء ألمان، ومع الأزمات التي قادت للحرب العالمية الأولى كانت الدولة العثمانية أعلنت الحياد^(١).

ومن خلال المصادر التاريخية المتاحة نجد أن الباعث للدولة العثمانية عن حلفاء هو أنه كانت الموارد الاقتصادية للدولة العثمانية قد استنفذت بسبب تكلفة حروب البلقان في عامي ١٩١٢ و ١٩١٣م. وقد عرض الفرنسيون، والبريطانيون والألمان المساعدة المالية، وفي تلك الأثناء، عارض الفصيل المؤيد لألمانيا بتأثير من أنور باشا، الملحق العسكري العثماني السابق في برلين، الأغلبية الموالية لبريطانيا في الحكومة العثمانية وحاول تأمين علاقات أوثق مع ألمانيا. في ديسمبر ١٩١٣ م، وأرسل الألمان الجنرال أوتو ليمان فون ساندرز وبعثة عسكرية إلى القسطنطينية. كان الموقع الجغرافي للدولة العثمانية يعني أن لروسيا وفرنسا وبريطانيا مصلحة مشتركة في الحياد التركي، في حالة نشوب حرب في أوروبا^(٢).

تكونت أثناء ذلك القوى المحاربة التي دخلت غمار الحرب العالمية الأولى، فظهر في جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا وروسيا وانضمت الولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً وعدد من الدول الأوروبية، في حين شكلت جبهة

(1) Yildiz Op.cit, P. 430.

(2) Aspinall-Oglander, Cecil Faber (1929). Military Operations Gallipoli: Inception of the Campaign to May 1915. History of the Great War Based on Official Documents by Direction of the Historical Section of the Committee of Imperial Defence. Vol. I. London: Heinemann. 464479053, p. 1-11.

الوسط ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا، وبدأت الحرب في يونيو ١٩١٤م^(١). /شعبان ١٣٣٢ هـ .

• الدولة العثمانية وسياسة الحياد في بداية الحرب العالمية الأولى:

نظراً لأن الحكومة العثمانية قد أعلنت حيادها منذ بدء الحرب فقد تلقت وزارة الخارجية العثمانية رسالة استفسار من الحكومة البريطانية حول التدابير اللازمة التي سوف تتخذها الحكومة العثمانية لتأمين حيادها خلال الحرب في أوروبا وأوضححت الحكومة العثمانية أنها اتخذت تدابيرها حول حيادها والمتضمن عدد من الأمور كان من أبرزها:

١- تمنع الحكومة العثمانية دخول السفن للدول المتحاربة إلى الموانئ

العثمانية ويسمح لها في الدخول في عدد من الحالات الطارئة كالعواصف البحرية وغيرها ثم تغادر السفن باستقرار الأحوال الجوية.

٢- لا تتوقف أي سفينة تابعة لدولة أوروبية سمح لها بالدخول إلى الموانئ العثمانية أكثر من أربعة وعشرين ساعة.

٣- في حالة توقف أي سفينة في الموانئ العثمانية لأكثر من أربعة وعشرين ساعة لا يسمح لتلك السفن أو السفينة المشاركة والاستمرار في الحرب.

٤- يمنع تزويد السفن الحربية للدول المتحاربة من التزود بالمؤن أو غيره من الاحتياجات؛ حتى لا تخرق الدولة العثمانية حيادها وتساعد السفن المتحاربة في الحرب.

وبناءً على ذلك، قامت الحكومة العثمانية بإرسال هذه المذكرة وأتلك الوثيقة للحكومة الإنجليزية كضمان لدول الحلفاء لحياد الدولة العثمانية وعدم

(١) اوزوتونا: مرجع سابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

رغبتها بالمشاركة^(١). وردت الحكومة البريطانية على هذا الحياد بأن الأراضي العثمانية سوف تضمن وحدتها وسيادتها ولن تتعرض لأي اعتداء^(٢). لكن هل استمر حياد الدولة العثمانية المبرم سالف الذكر؟ الواقع أنه لم يستمر إلا خلال الخمسة أشهر الأولى من الحرب، وبعدها رأت الدولة العثمانية أن تدخل في حلف مع إحدى الدول الأوروبية ووقع اتفاقها في نهاية الأمر مع ألمانيا، والسؤال لماذا تغيرت السياسة العثمانية من الحياد إلى الانضمام والمشاركة في الحرب.

• الوضع المالي للدولة العثمانية قبل دخول الحرب العالمية الأولى:

كان إجمالي الديون العثمانية قبل الحرب ٧١٦.٠٠٠.٠٠٠ دولار. ٦٠٪ منها لفرنسا، و ٢٠٪ لألمانيا، و ١٥٪ للمملكة المتحدة. الوقوف بجانب ألمانيا، الدائن الأقل (٢٠٪ مقارنة بـ ٧٥٪) وضع الدولة العثمانية في وضع يمكنها من تسوية ديونها أو حتى الحصول على تعويضات الحرب. في الواقع، في يوم توقيع التحالف مع ألمانيا، أعلنت الحكومة عن نهاية سداد ديونها الخارجية. اقترح السفير الألماني احتجاجاً مشتركاً مع الدائنين الآخرين للدولة العثمانية، على أساس أنه لا يمكن إلغاء اللوائح الدولية من جانب واحد، ولكن لا يمكن التوصل إلى اتفاق بشأن نص مذكرة الاحتجاج^(٣). وعليه فقد كانت الدولة العثمانية لديها الرغبة ولألمانيا كذلك في عقد الصداقة بينهما والتحالف.

(١) الأرشيف العثماني، مجموعة الحرب الكونية الأولى 1.2 HR.sys.2095، بتاريخ ١٣٣٠هـ.

(٢) الأرشيف العثماني، وثائق الحرب الكونية الأولى، نظارة الخارجية رقم ٥٣/١ -، ١٣٣٠هـ.

(3) Finkel 2007, p. 530

على أية حال تم تصوير الدولة العثمانية على أنها تخاطر بكل شيء لحل القضايا الإقليمية. في هذه المرحلة، من السجل، لم يكن للدولة العثمانية أهداف محددة للحرب^(١). لم تخسر ألمانيا شيئاً لكنها خلقت مشكلة استراتيجية للوفاق. حققت ألمانيا مكاسب استراتيجية أكثر من دخول الدولة العثمانية في الحرب.

في غضون ثلاثة أشهر، تحولت الدولة العثمانية من الموقف المحايد إلى العداء الكامل.

ويُعزى تغير موقف الدولة العثمانية إلى السفير فانكنهايم والأميرال سوشون. تم تعيين فانكنهايم سفيراً لدى الدولة العثمانية. وكان تواجد فيلهلم سوشون عرضياً. في ٢٩ أكتوبر ١٩١٦م مُنح فيلهلم سوشون وسام الاستحقاق، أعلى وسام عسكري في ألمانيا^(٢).

دخول الدولة العثمانية الحرب بجانب ألمانيا:

بدأ دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى حين قامت بحريتها بهجوم مفاجئ على الساحل الروسي على البحر الأسود في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م، والذي على إثره أعلنت روسيا الحرب عليها في ١ نوفمبر ١٩١٤م. ثم أعلنت حليفتا روسيا، بريطانيا وفرنسا، الحرب على الدولة العثمانية في ٥ نوفمبر ١٩١٤م. والجدير بالذكر هنا أن أسباب التصرف العثماني لم تكن واضحة للعيان، إذ أن الدولة لم تكن حليفاً رسمياً لأي من القوى العظمى^(٣).

(1) Erickson 2001, p. 36

(2) Ibid, p.36

(3) Nicolle, David (2008), The Ottomans: Empire of Faith, Thalamus Publishing, ISBN 1902886119, P.167.

كانت ذلك نتيجة لما ترتب على هروب السفينتين الألمانييتين (غوبن - بريسلاف) في البحر المتوسط من السفن البريطانية التي كانت تطاردهما ولجأت إلى سواحل الدولة العثمانية وتحديداً في مضيق قلعة جناق^(١). في البحر الأسود وسمحت الدولة العثمانية ببقائهما في المياه العثمانية فترة غير محددة؛ نتيجة قيام الدولة العثمانية بشراء السفينتين الألمانييتين، وبذلك خالفت الدولة العثمانية الاتفاق المعقود بينها وبين بريطانيا في أمر حيادها^(٢). وأطلقت الدولة العثمانية (ياوز - ميدللي) على هاتين السفينتين اللاتي سارت في البحر الأسود حتى انضمتا إلى سفن الأسطول الألماني بقيادة الجنرال (ويلهم أنطون) وشاركتا في قصف مينائي (سيواستوبول - أوديسا) الروسيين. مما دفع كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا إعلان الحرب علي الدولة العثمانية بإعلان الحرب علي دول التحالف في ذي الحجة ١٣٣٢ هـ / الموافق ١٤ نوفمبر ١٩١٤م^(٣).

(٢) قلعة جناق: ميناء عثماني يقع في البحر الأسود وهو ذا مركز استراتيجي لعب دوراً هاماً في الحرب العالمية الأولى (انظر (Niyazi (2016).P65).

(٢) بحثت الدولة العثمانية عن أكثر من حليف مع بريطانيا أولاً نظرًا للعلاقات الوطيدة التي تربطها مع بريطانيا إلا أن بريطانيا أعربت أنها لا ترغب في ارتباطات سياسية جديدة، ثم اتجهت الدولة العثمانية لفرنسا حول التعاون العثماني - الفرنسي، إلا أن الحكومة الفرنسية اعتذرت وبررت هذا الاعتذار بأنها لا تستطيع إبرام هذا التحالف من غير رضا روسيا، ومن هنا وجدت الدولة العثمانية نفسها مضطرة للتحالف مع ألمانيا (انظر (OGLU. P 18-19).

(٣) الأرشيف العثماني، نظارة، نظارة الخارجية العثمانية، وثائق الحرب الكونية، HR.sys.2095.3، ١٩١٤م.

وعلى خلفية هذه الأحداث جرت الاتصالات العثمانية - الألمانية بشأن التحالف بينهما ووقع الطرفان الاتفاقية السرية بتاريخ أغسطس ١٩١٤م شوال ١٣٣٢ هـ، وكانت أبرز نصوصها:

١- يتعهد الطرفان بالوقوف على الحياد تجاه النزاع بين النمسا والمجر وبين صربيا.

٢- عند وقوع تهديد وعند الحاجة فإن ألمانيا تتعهد بالدفاع عن الدولة العثمانية، وعندما تتعرض ألمانيا للخطر فإن الدولة العثمانية سوف تساندها وتدافع عن الأراضي الألمانية.

٣- تهدف الاتفاقية إلى حماية الدولتين من الاضطرابات الدولية التي نشأت في الفترة الحالية نتيجة حالة الحرب بين الدول الأوروبية، تعتبر قرارات المعاهدة ملزمة لكل الطرفين إلى نهاية الحرب^(١).

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل لماذا حدث التحالف الألماني العثماني بعد مضي أشهر على الحرب العالمية الأولى ولم يكن هذا التحالف مع الاستعداد للحرب؟ في الواقع أن ألمانيا كانت لديها مجموعة من الأسباب للدخول في حلف مع الدولة العثمانية:

(١) كان على رأس هذه الأسباب الاستفادة من الموقع الاستراتيجي للدولة العثمانية التي تقع في موقع يسهل على دول المحور ضرب دول الحلفاء وخاصة روسيا من خلالها^(٢).

(1) Dansimend Op. cit, P. 412.

وانظر أيضا ناجي، سحر أحمد، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) أوزتونا: مرجع سابق، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

٢) رغبة ألمانيا في نقل بعض المعارك ناحية الشرق الأوسط؛ من أجل توجيه اهتمام روسيا إلى خارج القارة الأوروبية .

٣) شل حركة بريطانيا نحو مستعمراتها، كذلك كانت ترغب ألمانيا في الاستفادة الاقتصادية من الأقاليم التي كانت تحت السيادة العثمانية في منطقة الشرق الأوسط^(١).

في حين كانت دوافع الدولة العثمانية للانضمام والتحالف مع ألمانيا يرجع لعدد من الأسباب الهامة ومنها:

١) أن وزير الحربية العثماني أنور باشا كان يضغط على الحكومة العثمانية أن تخوض الحرب بجانب ألمانيا، وكان التفوق الألماني في الحرب مسار إعجابه؛ فأقنع الحكومة بأن من مصالح العثمانيين الانضمام لألمانيا في الحرب ضد الحلفاء^(٢).

٢) التطورات الأولية التي حدثت أثناء الحرب العالمية الأولى وكانت الدولة العثمانية بين فكي كماشة بين دول حلفاء من النواحي الغربية والمناطق الساحلية .

٣) تهديدات فرنسا وبريطانيا رغم إعلانها الحياد إلا أن الحرب كانت مشتته بين الحلفاء والمحور مما دفعها للبحث عن حليف، ورأت الدولة العثمانية أنها لا تمتلك جيش حديث بل تحتاج للمعدات والذخائر والمال؛ لأنها كانت عاجزة عن دفع رواتب الضباط؛ بسبب أزمة الدين العام.

(1) OGLU Op. cit, P. 23.

(2) Danismend Op.cit, P.432.

٤) علاوة على ذلك أن ألمانيا في نظر العثمانيين لم يكن لديها أطماع في الدولة العثمانية ولم تقم ألمانيا بأي عمل عدواني ضد أراضي الدولة العثمانية واعتقاد المسؤولين العثمانيين بأن الألمان سينتصرون في الحرب بشكل مؤكد مما جعل الحكومة العثمانية تعقد ذلك التحالف^(١).

رد فعل الحكومة البريطانية على تحالف الدولة العثمانية مع ألمانيا ودخولها الحرب بجانبها:

ردت الحكومة البريطانية على أن هذا التحالف الجديد الذي ظهر أثناء الحرب وغير ميزان القوى لصالح ألمانيا ودول المحور بشكل عام من خلال صحيفة رومن اللندنية من خلال مقال نشر بتلك الصحيفة بعد توقيع تلك المعاهدة، وحمل المقال طابع السخرية والاستهجان من الدولة العثمانية؛ فقد جاء فيه: (سمحت الدولة بضياح مصالحها من خلال قيامها بقصف الموانئ الروسية بالمدافع العثمانية بطريقة غير مدروسة وسمحوا لجيوشهم بالدخول للأراضي المصرية، واختتم المقال قوله أن إنجلترا ليست من خان بل السيادة العثمانية المتمثلة بالباب العالي، ولم يكن لبريطانيا أي خلاف مع السلطان العثماني أو رعيته ولقد أقدمت الإمبراطورية على الانتحار وحفر قبرها بيدها)^(٢).

يتضح من خلال ما ذكر في المقال الخاص بالحكومة البريطانية أن بريطانيا لا ترغب في أن يقوم التحالف بين العثمانيين والألمان؛ حتى

(1) yildiz Op.cit.P.434 .

(٢) الأرشيف العثماني، نظارة خارجية، شعبة المطبوعات الأجنبية، تحت رقم

تستطيع أن تنجح في السيطرة على المزيد من الأراضي والأقاليم العثمانية التي كانت تجري فيها العمليات العسكرية لصالح بريطانيا. وهذا التحالف بلا شك قد أفضل خططها أثناء الحرب، كما أن الدولة العثمانية سوف تعمل من خلال هذا التحالف على الدفاع عن أقاليمها في المنطقة شرقاً وغرباً؛ لذلك كان رد فعل الحكومة البريطانية سلبي جداً تجاه التحالف العثماني - الألماني ولم ترع الصداقة الطويلة التي ربطت بين بلادها والدولة العثمانية والتي استمرت سنوات طويلة من الزمن^(١).

العلاقات العثمانية الألمانية بعد التحالف الرسمي:

- **التعاون العسكري، وأثره على المنطقة العربية:**

مثلَّ التحالف العثماني - الألماني أشده في الاتصالات المتبادلة بين الحكومتين في يناير ١٩١٤م / ١٣٣٣هـ؛ حيث أرسلت السفارة الألمانية للحكومة العثمانية مذكرة حول مدى استطاعت الحكومة العثمانية تلبية احتياجات إصلاح الغواصات والسفن الألمانية في مصنع (كرمانيا) العثماني، وأوضحت الحكومة العثمانية أن العمل جاري حول القيام بصيانة الغواصات والسفن الألمانية في مصنع (كرمانيا)، كما أبلغت الحكومة العثمانية أن هناك غواصتين من الحجم الصغير جاهزتين للأعمال الحربية، ويمكن نقلها عبر الخط الحديدي الذي يربط استانبول بألمانيا، وكان هذا التعاون بين البلدين بمثابة المؤكد على تحالف الدولتين ووقوفهما جنباً إلى جنب خلال السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى. كما قامت الدولة العثمانية بتغطية التكاليف المالية الخاصة بصناعة وصيانة الغواصات والسفن الألمانية مما

(١) الأرشيف العثماني، نظارة خارجية، شعبة المطبوعات الأجنبية، تحت رقم

يؤكد ريادة الدولة العثمانية رغم ضعفها مالياً في صناعة السفن والغواصات في تلك الفترة الحرجة من تاريخها^(١).

وعلى ضوء الوثائق تبادل الطرفان العثماني - الألماني التهئة بالانتصارات حيث قام السلطان محمد رشاد بتهئة إمبراطور ألمانيا بالانتصارات التي تحققت لألمانيا، كما أهده وسام إمتياز الحرب خلال السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى^(٢).

كما منح السلطان العثماني وسام إمتياز الحرب الذهبي لوزير الحربية أنور باشا ومساعدته فون در كولج باشا؛ نظير خدماته التي قدمها للدولة العثمانية خلال السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى^(٣).

ومن خلال المصادر التاريخية المتاحة نجد من النقاط المثيرة، التي يجب أن نشير إليها فيما يتعلق بالنواحي العسكرية والتعاون بين ألمانيا والدولة العثمانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى تلك التي انعكس بلا شك أثرها السيئ على المنطقة العربية، مسألة تغلغل نفوذ الجيش الألماني داخل الجيش العثماني؛ حيث حصلت ألمانيا على امتياز تطوير الجيش العثماني من خلال إرسال البعثات العسكرية الألمانية لتدريب الجيش العثماني، هذا فضلاً عن امتياز إمداد الجيش العثماني بالأسلحة اللازمة من خلال مصانع التسليح الألمانية، وأدى ذلك إلى ازدياد شعبية النموذج العسكري الألماني داخل صفوف الضباط والقادة العثمانيين، وأدت البعثات دورها الناجح في

(١) وثائق الأرشيف العثماني، سفارة برلين إلى نظارة الخارجية العثمانية، تحت رقم 1299801-55، ١٩١٤ م.

(٢) وثائق الأرشيف العثماني، (١٩١٤ م): تحت رقم 4340/325، ١٩١٤ م.

(٣) وثائق الأرشيف العثماني، تحت رقم 499/60، ربيع الآخر ١٣٣٣ هـ.

جر الدولة العثمانية إلى التحالف مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء، وعلى رأسهم إنجلترا وفرنسا.

وانعكس هذا التحالف العسكري العثماني-الألماني بالأثر السيئ على مستقبل المنطقة العربية؛ إذ أصبحت منطقة المشرق العربي ميداناً عسكرياً للصراع الاستعماري أثناء الحرب العالمية الأولى، ونتج عن ذلك سقوط المشرق العربي - خاصةً العراق وبلاد الشام- في يد إنجلترا وفرنسا، بعد هزيمة الدولة العثمانية وألمانيا في الحرب.

- الدعم المالي والمشروعات الاقتصادية:

لم يقتصر التحالف العثماني - الألماني على التعاون العسكري بين الطرفين بل إنه امتد إلى أن الحكومة العثمانية طلبت قرض مالي قدره (١٥٠ مليون فرنك) يكون نصفها من حكومة النمسا والمجر ونصفها الآخر من ألمانيا وجاء الطلب المالي من الحكومة العثمانية للحكومة الألمانية؛ لصعوبة أخذ قرض مالي من البنك العثماني وأيد الوزير العثماني جاويد بك على أخذ هذا القرض، وسعى الوزير العثماني إلى إعطاء التأمينات الكافية لحكومتى النمسا وألمانيا للحصول على القرض^(١). وجاء الرد للحكومة العثمانية من خلال سفيرها في فيينا حسين حلمي باشا في مارس ١٩١٥م الذي كان لدوره الايجابي أكبر الأثر في حصول الحكومة العثمانية على ذلك القرض^(٢).

(١) وثائق الأرشيف العثماني، رقم 1-086-01، ١٩١٥م.

(٢) وثائق الأرشيف العثماني، رقم 6-310، ١٩١٥م.

ولما كان هدف ألمانيا الرئيس من التقارب مع الدولة العثمانية هو الاقتصاد وإقامة المشاريع الاقتصادية في أراضي الدولة العثمانية^(١) فلم يمض ثلاثة أشهر على تسلم الحكومة العثمانية القرض أرسلت الحكومة الألمانية المستشار المالي لها ليتفاوض مع الحكومة العثمانية حول ضرورة البدء بمشروع الخط الحديدي من طورسوس^(٢). إلى الخط الحديدي ببغداد، وكانت المفاوضات الأولى قد دارت بين وزير المالية العثماني جاويد بك وبين البنك الألماني، وأكد المستشار الألماني أن البدء بإنشاء الخط الحديدي المذكور أمر بالغ الأهمية؛ لتحقيق إنتصار دول المحور على الحلفاء، حيث وضح أن أولى مميزات هذا الخط أن الدولة العثمانية ستحافظ على أراضيها وسواحلها من أي تهديد خارجي وأن هذا الخط سوف يعود بمنافع إقتصادية ضخمة على الدولة العثمانية وثالث هذه الأمور وأهمها سوف تحقق الدولة العثمانية انتصاراتها في الأراضي المصرية ومنطقة قناة السويس على بريطانيا^(٣).

بذل وزير المالية العثماني جاويد بك قصارى جهده خلال تلك الفترة لإتمام ذلك المشروع الاقتصادي الهام لدى الحكومة العثمانية. وتمت المباحثات بين وزير المالية وطلعت باشا من حكومة الاتحاد والترقي، وبالفعل تمكن الوزير العثماني من الحصول على تصديق الباب العالي للموافقة على المشروع. وحتى تبدأ الحكومة الألمانية بإستلام الدفعات المالية

(١) الدسوقي، محمد كمال: مرجع سابق، ص ١٤٠.

(٢) طورسوس: سلسلة جبلية دخلت تحت الحكم العثماني مع بداية الفتوحات لمنطقة الأناضول. انظر: غربال، مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) وثائق الأرشيف العثماني، برقم 1011401، ١٩١٥ م.

من البنك الألماني لدعم المشروع الهام الذي سوف يحقق النصر في مواقع من الحرب لصالح دول المحور كما كان متوقع من قبل جاويد بك والحكومة العثمانية^(١).

سارت الحرب خلال تلك السنة لصالح دول المحور وتم الانتصار في أكثر من موقع لدول المحور على قوات الحلفاء في أوروبا وتم أسرا العديد من الجنود الفرنسيين والهنود والروس من قبل ألمانيا والنمسا وقد رأت الدولتين استخدام هؤلاء الأسرى في الحرب ضد دولهم^(٢). وتم التباحث مع الحكومة العثمانية حول الأمر وردت الحكومة العثمانية أن قوانين الدولة العثمانية تمنع استخدام أسرى الحرب ضد دولهم فردت الحكومة الألمانية والنمساوية باستعدادهما لإرسال الأسرى إلى بلادهم على دفعات قليلة من (٢٠-١٠) فقط، وحمل الاقتراح تشغيل عدد منهم من أصحاب المهن وجزء منهم يعمل في أراضي الدولة العثمانية وتم الأخذ بالاقتراح المذكور من قبل الحكومة العثمانية حتى لا يرجع الأسرى إلى بلادهم ويساعدوا دولهم في الحرب المشتعلة^(٣).

مع نهاية عام ١٩١٦م - ١٣٣٤هـ بدأت الهزائم تلحق بالطرفين الحلفاء والمحور وبدأ نقص شديد في إمكانية استكمال الحرب. وطلبت دول الحلفاء من ألمانيا التوصل إلى صلح بين المعسكرين المتحاربين وقد أرسلت السفارة في برلين بشأن ذلك إلى الحكومة العثمانية. وأن دول الحلفاء وعلى

(١) الأرشيف العثماني، برقم 302، ١٩١٥م.

(٢) وصل عدد الأسرى من الفرنسيين ٤ آلاف، ومن الروس ٣ آلاف ومن الهنود ١٢٠ أسير، (وثائق الأرشيف، وكالة القيادة العليا: رقم ١٣٢٤٤-١٤٨٢).

(٣) وثائق الأرشيف العثماني، برقم: 7182-13244، ١٩١٥م.

راسهم بريطانيا كانت تسعى إلى صلح آخر مع النمسا والمجر، وكانت ترى ألمانيا أن هذا الصلح سوف يعزلها إقليمياً ويتيح إنتصار الحلفاء في الحرب، إلا أن الجميع من دول المحور أظهر وقوفه إلى جانب ألمانيا وعدم رغبتهم بالصلح، الذي سوف يتيح تحقيق المزيد من الإنتصارات لدول الحلفاء، وأكدّت سفارة برلين للحكومة العثمانية أن القضاء على ألمانيا سيقضي علي بقية الدول الحليفة لها^(١).

- دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب وهزيمة دول المحور:

خلال عام ١٩١٧م - ١٣٣٥هـ، رأت الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت تتابع الأحداث عن كثب ضرورة دخولها للحرب إلى جانب الحلفاء حتى يتم لهم النصر على المحور. ولم تكتفي بذلك بل أعلنت قطع علاقاتها بالحكومة الألمانية نظراً لحالة الحرب التي سوف تستأنفها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي المقابل أعلنت الحكومة العثمانية قرارها بقطع العلاقات مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلنت أن سبب قيامها بهذا الأمر هو إعلان الولايات الأمريكية الحرب على ألمانيا، وأكدّت الحكومة العثمانية أن قطع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية هو تضامناً من الحليفة ألمانيا، وبنفس الوقت أعربت الحكومة العثمانية أنها لا ترغب الدخول في حرب مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها أعلنت أن رعايا الحكومة الأمريكية سوف ينعمون بالأمان داخل أراضي الدولة العثمانية، وهنا يتضح أن الدولة العثمانية قطعت علاقاتها السياسية مع أمريكا دون الدخول ضدها في حرب فقط تضامناً مع حليفاتها ألمانيا^(٢).

(١) وثائق الأرشيف العثماني، برقم ١٣١٩، ١٩١٧م.

(٢) وثائق الأرشيف العثماني، برقم ٨٥٦، ١٩١٧م.

وبعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحلفاء مالت كفة النصر إلى دول الحلفاء وتمكنوا من استكمال انتصاراتهم في أوروبا وخارجها ولحقت بدول المحور الهزيمة تلو الأخرى، وفرضت على الدول المهزومة قرارات مؤتمر فرساي ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م، الذي مكن دول الحلفاء من السيطرة على العالم، وسقطت الخلافة العثمانية والإمبراطورية الألمانية والنمساوية^(١).

وقد برز لنا من خلال الدراسة في هذا المبحث تطور العلاقات العثمانية - الألمانية خلال فترة نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وذلك من خلال محافظة كلا الدولتين على صداقاتهما ونمو مصالحهما المشتركة، ودخول الدولة العثمانية الحرب في جانب ألمانيا ودول المحور بعد أن كانت قد تعهدت لبريطانيا ومن ثم دول الحلفاء بعدم خوض غمار تلك الحرب في البداية والتزامها بالحياد. وقد كانت ألمانيا، أكثر من أي طرف آخر، تولي اهتماماً إيجابياً للدولة العثمانية. كان هناك تعاون في مجالات التمويل والتجارة والسكك الحديدية والاستشارة العسكرية. أصبح الجنرال الألماني أوتو ليمان فون ساندرز في عام ١٩١٣ م الأحدث ضمن سلسلة الجنرالات الألمان الذين يعملون على تحديث الجيش العثماني.

(١) اوزتونا، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

الخاتمة

تظهر الدراسة العلاقات العثمانية - الألمانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى، والتي تعززت بعد مؤتمر برلين الذي استضافته الإمبراطورية الألمانية على أراضيها حيث ألمانيا أن تنفذ سياستها الرامية إلي الاستفادة من التقسيمات والضعف الذي أصاب الدولة العثمانية وكان لدى كلا الجانبين أسبابهما للصدقة.

خلصت الدراسة إلى أنه من الأهداف الحقيقية لدى الألمان للتقارب مع الدولة العثمانية تركزت حول الأناضول والسيطرة على طرق المواصلات الممتدة من بحر الشمال حتى سواحل الخليج العربي.

كما أوضحت الدراسة مدى التقارب العثماني الألماني قبيل الحرب العالمية الأولى؛ حيث وجدت كلا الدولتين تحقيق التعاون فيما بينها بما يحقق أغراض كل منهما. غير أن ألمانيا كانت هي المستفيدة الكبرى من تحالفها أو تقاربها مع الدولة العثمانية خلال تلك المرحلة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

كما كشفت الدراسة أن ألمانيا كانت أكثر من أي طرف آخر، تولي اهتماماً إيجابياً للدولة العثمانية. كان هناك تعاون في مجالات التمويل والتجارة والسكك الحديدية والاستشارة العسكرية. وأصبح الجنرال الألماني أوتو ليمان فون ساندرز في عام ١٩١٣ م الأحدث ضمن سلسلة الجنرالات الألمان الذين يعملون على تحديث الجيش العثماني. أما الدولة العثمانية فكانت جل استفادتها من تقاربها وتحالفها مع الألمان في الجانب العسكري؛ حيث استفادت في هذه الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى من الإسهامات العسكرية والخبرات والأسلحة الألمانية أكبر استفادة في تقوية جيشها من

حيث السلاح والتدريب وقد اعتبر الألمان بمثابة الأطباء المعالجون الذين قاموا بمعالجة الوهن والضعف في الجيش العثماني.

خلال الحرب العالمية الأولى أعلنت الحكومة العثمانية الحياد ظاهرياً أمام دول التحالف (بريطانيا - فرنسا - روسيا)، لكنها في نفس الوقت رغبت بالمشاركة بالحرب وذلك من خلال تحالفها مع ألمانيا ولقد كانت الأسباب لهذا التغيير في السياسة العثمانية من الحياد إلى المشاركة. وشمل التحالف بينهما إعطاء الحكومة الألمانية الحكومة العثمانية قرض مالي لتغطي الحكومة العثمانية بهذا القرض مصاريف وتكاليف الحرب، كما جرى التعاون بين الطرفين لإتمام خط طوروس إلى بغداد الحديدي وأقنعت الحكومة الألمانية الحكومة العثمانية بأن إنجاز الخط الحديدي سوف يساهم في تحقيق الانتصارات على الحلفاء وإلحاق المزيد من الخسائر في الأقاليم التي يسيطرون عليها الحلفاء في منطقة المشرق العربي.

وفي النهاية نؤكد على أن ألمانيا لم تكن بالصديقة كما اعتقد العثمانيون وإنما كانت لها أهدافها الاستعمارية وكانت الباحثة عن مصالحها الذاتية، لكن تلك الصداقة وذاك التقارب أودى بالدولتين إلى حافة الهاوية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر: وثائق الأرشيف العثماني:

- (١) الأرشيف العثماني، مجموعة الحرب الكونية الأولى
1.2 HR.sys.2095، بتاريخ ١٣٣٠ هـ.
- (٢) الأرشيف العثماني، وثائق الحرب الكونية الأولى، نظارة الخارجية رقم
٥٣/١ -، ١٣٣٠ هـ.
- (٣) الأرشيف العثماني، نظارة، نظارة الخارجية العثمانية، وثائق الحرب
الكونية، HR.sys.2095.3، ١٩١٤ م.
- (٤) الأرشيف العثماني، نظارة خارجية، شعبة المطبوعات الأجنبية،
1-05316، ١٩١٤ م.
- (٥) الأرشيف العثماني، سفارة برلين إلى نظارة الخارجية العثمانية،
1299801-55.
- (٦) الأرشيف العثماني، برقم BEO-4340/3254761
- (٧) الأرشيف العثماني، الباب العالي، TAL.499606، بتاريخ ١٣٣٣ هـ
- (٨) الأرشيف العثماني، الخارجية العثمانية، سفارة فيينا، برقم ٣١٠، بتاريخ
١٩١٥ م.
- (٩) الأرشيف العثماني، صورة من البرقية الواردة من السفارة السنية في
برلين، برقم 1011401، بتاريخ يونيو ١٩١٥ م.
- (١٠) الأرشيف العثماني الأرشيف العثماني، الباب العالي دائرة الخارجية -
القلم الخاص - برقم ٣٠٢ - بتاريخ ١٩١٥ م.
- (١١) الأرشيف العثماني، وكالة القيادة العليا - رقم ١٣٢٤٤ - ٧١٨٢ .

- ١٢) الأرشيف العثماني، الجيش الهمايوني - وكالة القيادة العليا - نظارة الخارجية العثمانية - برقم ١٣٢٤٤ - ٧١٨٢، بتاريخ ١٩١٥م.
- ١٣) الأرشيف العثماني، الباب العالي نظارة الخارجية - قلم البرقيات، برقم ١٣١٩. بتاريخ ١٩١٧م.
- ١٤) الأرشيف العثماني، الباب العالي، مديرية الأمن العام ت برقم ٨٥٦ - بتاريخ ١٣٣٥هـ.

ثانياً المراجع:

- ١) اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢، ترجمة عدنان سليمان منشورات فيصل، استانبول، ١٩٩٠م.
- ٢) التكريتي، هاشم صالح: التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٧ (١٩٨٦م).
- ٣) برو، توفيق، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨م - ١٩١٤م) ط، مطبعة الهنا، القاهرة، ١٩٦٠.
- ٤) حسون، علي، العثمانيون والروس، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٨٢م،
- ٥) سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ط١، دار الفكر العربي بيروت، ١٩٨٠م
- ٦) الصباغ، عبد اللطيف: تاريخ الدولة العثمانية، دار اشروق (د-ت)
- ٧) طقوش، محمد، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط ٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٣م.
- ٨) عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، ط، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٨م

- ٩) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ج ٢، إحياء التراث، بيروت، ١٩٦٠ م
- ١٠) لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، موسكو دار التقدم، ١٩٧١ م
- ١١) ناجي، سحر أحمد: النفوذ الألماني في الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، المؤتمر العلمي التخصصي الرابع والعشرون، كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠١٨ م.
- ١٢) هنداوي، سهام محمد: التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية، وثائق سرية ما بين ١٨٧٦ - ١٩٠٩ م، نينوى للدراسات والنشر، العراق (د-ت)

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1) Aspinall-Oglander, Cecil Faber (1929). Military Operations Gallipoli: Inception of the Campaign to May 1915. History of the Great War Based on Official Documents by Direction of the Historical Section of the Committee of Imperial Defence. Vol. I. London: Heinemann. OCLC 464479053.
- 2) Danis Menb Mail Hami, izahlisosmanli Tarihi, Kronolojisi, Klasor, Istanbul, 1942
- 3) Erickson, Edward J. (2001). Ordered to Die: A History of the Ottoman Army in the First World War.
- 4) Fahir Armoglu, 20. yvzyil siyasi, Taprihi (1914-1995), 5 klasor, istanbul, 2015.
- 5) Fewster, Kevin; Basarin, Vecihi; Basarin, Hatice Hurmuz (2003) Gallipoli: The Turkish Story

- 6) Mehmed Niyazi, Cankkale Mahseri Atokn yayincilik, istanbul, 2016.
- 7) Nicolle, David (2008). The Ottomans: Empire of Faith. Thalamus Publishing. ISBN 1902886119.
- 8) Tahsin Pasani yildiz Hatiralari, sultan ABDLHamid Bogaziciayinlari, 4 BASKI, 1990.
- 9) Ulrich Trumpener, "Liman von Sanders and the German-Ottoman alliance." Journal of Contemporary History 1.4 (1966)

